النظام الإلهي للكون في فكر هيراقليطوس

أ. م. د. / محمود حنفي محمود
كلية الآداب – جامعة عين شمس

Abstract:

" The divine order of the universe in the thought of Heraclitus."

The interpretation of the concept of the Logos “ὁ λόγος” in the writings of Heraclitus remained one of the most complex issues in Greek thought, and even its other concepts such as the universe “κόσμος” and fire “Πῦρ” met with differences in interpretation among researchers, as they presented many interpretations and translations that failed to find any kind of intellectual unity. The writings of Heraclitus.

When Kirk - one of the most prominent scholars who delved deeply into the study of Heraclitus's fragments - examined Heraclitus's words, he often used words that expressed possibility in his interpretation - those possibilities that many researchers relied on in interpreting Heraclitus's thought. Then Kirk stopped at a few words that did not... He finds an explanation for it even from the point of view of suspicion and possibility. This matter was faced by Plato, Aristotle, Demetrius of Phaleria, and others who expressed the difficulty of understanding Heraclitus's phrases, so they called him "the Dark One".

A number of researchers presented many hypotheses about the nature of the first matter and its relationship with other existents. Some of them associated the logos with God, the logos with fire, and the fire with the world. These hypotheses increased the mystery of Heraclitus and made his ideas a historical problem that drowns those who address it in seas of details.

Heraclitus presented a vision of the universe that differed from many of its predecessors and successors, in which he depicted the universe and its divine order Which proceeds without actual intervention from the Supreme God, but this system is subject to the will of the Supreme God. Heraclitus distinguished in this system between matter and the spirit responsible for movement, and the divine word, which represented an element to which creation is indirectly attributed, in addition to its role in preserving the cosmic order, and teaching humans divine wisdom, this perception that presents the highest levels of perfection and authenticity in the thought of the first naturalists, and the legacy of the Seven Sages.

The researcher assumes that Heraclitus - as a prophet - wanted to separate two worlds, the divine world and the human world. He introduced the word logos in its common meaning of “the word” at the time, but the function of the human word is not equivalent to the divine word, neither in action nor effect, and the perceived universe differs from the divine element. Responsible for the system of the universe and the movement of its parts (the living, rational fire). Heraclitus expressed the divine elements that control the universe, those elements responsible for its system, and he defined the functions of each element without comparing them as the moderns did. He did not even mention a single

role for the Supreme Creator with... Acknowledging his existence, Heraclitus expressed this in a different and simple linguistic style that relies on symbols and signs, but it provides clarity to his ideas, and this linguistic style is the researcher's own proof that he presents to prove his hypothesis.

To prove the research hypothesis, we rely on the use of the inductive and analytical approach, based on the analysis of primary sources, and arriving at the overall conclusion through studying the details.

The research is based on studying several axes:

Introduction: On the ambiguity of Heraclitus' style and religious language.

- The Heraclitean Logos and the problem of the unity of Heraclitus' thought.
- The divine word (Logos) as expressed by Heraclitus.
- The world and the first principle (fire) according to the researchers' hypotheses.
- The Heraclitean concept of God and his relationship to the Logos and the world
- Interpretation of the divine order of the universe in the thought of Heraclitus.

Keywords: Heraclitus - the Logos - the pre-Socratic philosophers - the language of Heraclitus - the divine nature, the first principle - fire - the universe - the highest god - the wise - divine attributes.

ملخص:

ظل تفسير مفهوم اللوجوس" ***ὁ λόγος*** " في كتابات هيراقليطوس من أعقد قضايا الفكر الإغريقي، وحتى بعض مصطلحاته الأخرى مثل الكون "***κόσμος*** " والنار " ***Πῦρ*** قد لاقت اختلافًا في التفسير بين الباحثين، فقدموا العديد من التفسيرات والترجمات التي عجزت عن إيجاد نوع من أنواع الوحدة الفكرية لكتابات هيراقليطوس .

عندما فحص كيرك –وهو من أبرز الباحثين اللامعين الذين تعمقوا في دراسة شذرات هيراقليطوس– كلمات هيراقليطوس كان كثيراً ما يستخدم الكلمات التي تعبر الاحتمال في تفسيره . تلك الاحتمالات التي اعتمد عليها كثير من الباحثين في تأويل فكر هيراقليطوس، ثم توقف كيرك عند بضع كلمات التي لم يجد لها تفسيراً حتى من باب الظن والاحتمال، ذلك الأمر قد واجهه أفلاطون وأرسطوطاليس وديمتريوس الفاليري وغيرهم من الذين عبروا عن صعوبة فهم عبارات هيراقليطوس لذلك أطلقوا عليه لقب "المظلم" .

قدم عدد من الباحثين العديد من الفرضيات حول طبيعة المادة الأولى وعلاقتها بالموجودات الأخرى،منهم من أقرن اللوجوس بالإله وأقرن اللوجوس بالنار ،وأقرن النار بالعالم ،تلك الفرضيات التي زادت من غموض هيراقليطوس، وجعلت من أفكاره مشكلة تاريخية تُغرق من يعالجها في بحار من التفاصيل.

قدم هيراقليطوس تصورًا للكون يخالف كثير من السابقين واللاحقين، صور فيه الكون ونظامه الإلهي

الذي يسير دون تدخل فعلي من الإله الأعلى، لكن هذا النظام يخضع لمشيئة الإله الأعلى ،ميز هيراقليطوس في هذا النظام بين المادة والروح المسؤولة عن الحركة، والكلمة الإلهية التي مثلت عنصر ينسب إليه الخلق بصورة غير مباشرة، بالإضافة إلى دورها في حفظ النظام الكوني، وتعليم البشر الحكمة الإلهية ، هذا التصور الذي يقدم أعلى درجات الكمال والأصالة في فكر الطبيعيين الأوائل،وميراث الحكماء السبعة .

يفترض الباحث أن هيراقليطوس –باعتباره نبيًا– قد أراد الفصل بين عالمين، العالم الإلهي والعالم البشري، وقدم كلمة اللوجوس بمعناها الشائع "الكلمة" آنذاك ،لكن وظيفة الكلمة البشرية لا تعادل الكلمة الإلهية ،لا في الفعل ولا التأثير، والكون المدرك يختلف عن العنصر الإلهي المسؤول عن نظام الكون وحركه أجزائه (النار الحية العاقلة)، لقد عبر هيراقليطوس عن العناصر الإلهية التي تتحكم في الكون ،تلك العناصر المسؤولة عن نظامه، وحدد وظائف كل عنصر دون أن يقرن بينهم كما فعل المحدثين ،حتى أنه لم يذكر دوراً واحداً للخالق الأعلى مع الإقرار بوجوده ، عبر هيراقليطوس عن هذا بأسلوب لغوي مختلف وبسيط يعتمد على الرمز والاشارات، لكنه يقدم الوضوح لأفكاره، وهذا الأسلوب اللغوي هو برهان الباحث نفسه الذي يقدمه لإثبات فرضيته .

نعتمد في إثبات فرضية البحث على استخدام المنهج الاستقرائي التحليلي، القائم على تحليل المصادر الأساسية، والوصول من خلال دراسة الجزئيات إلى الاستنتاج الكلي.

يعتمد البحث على دراسة عدة محاور هي:–

- مقدمة: عن غموض أسلوب هيراقليطوس ولغته الدينية.
- اللوجوس الهيراقليطي ومشكلة وحدة فكر هيراقليطوس .
- الكلمة الإلهية (اللوجوس) كما عبر عنها هيراقليطوس.
- العالم والمبدأ الأول (النار) تبعًا لفرضيات الباحثين.
- مفهوم الإله الهيراقليطي وعلاقته باللوجوس والعالم
- تفسير النظام الإلهي للكون في فكر هيراقليطوس

الكلمات الدالة: هيراقليطوس – اللوجوس– الفلاسفة ما قبل سقراط –لغة هيراقليطوس– الطبيعة الإلهية، المبدأ الأول– النار– الكون– الإله الأعلى– الحكيم –الصفات الإلهية.

مقدمة: عن غموض أسلوب هيراقليطوس ولغته الدينية

يعتبر هيراقليطوس" Ηράκλειτος" - من بين الآيونيين الأوائل – الألغز فكرًا والأعلى جلالًا[١]،عاش هيراقليطوس في القرن السادس قبل الميلاد ما بين (٥١٥-٤٤٠ ق.م) [٢]وقد شهدت تلك الفترة ازدياد في حركة الهجرات الإغريقية إلى مصر، كما شهدت تفاعلًا حضاريًا نشطًا أدى إلى ظهور عدد من الأفكار والمعتقدات المصرية في الفكر الإغريقي آنذاك[٣].

كان هيراقليطوس فيلسوفاً من نوع فريد يختلف اختلافاً كلياً عن غيره من فلاسفة اليونان، تحدث في غموض العرافين واعتبر نفسه نبياً[٤]، اختلف القدماء حول تفسير مذهبه واختلف المحدثون كذلك، لذلك لُقب بين القدماء بالغامض أو المظلم Σκοτεινός [5] ليس فقط لغموض عباراته والاختلاف الشديد حول تفسيرها فحسب، لكن أيضاً لصعوبة لغته وأسلوبه [٦]، لذلك قال عنه جيثري " Guthrie "أن فكره لا يخضع للمعايير والمنطق الذي نعرفه، كما لا يتسق هذا الفكر مع نفسه[٧].

كتب هيراقليطوس عملًا يتكون من ثلاثة أجزاء، الأول يبحث عن الكون ككل ، وأخر في الأخلاق والسياسة، أما الثالث فكان يبحث في الإلهيات[٨].

---

[1] Graham, Daniel W.(2006) :Explaining the Cosmos: The Ionian Tradition of Scientific Philosophy. Princeton: Princeton University Press.113.

[2] Gill (M.L.) & Pellegrin (P.),(2006): A companion to Ancient Philosophy, Blackwell Publishing , New York, ,27.

[3] Hobl (G.), (2001)A history of the Ptolemaic empire , Clarendon Press, Oxford. , 16-17.

[4] Luchte, (J.),(2011):early Greek thought before the Dawn ,Continuum international publishing group, New York , 13 .

[5]Liv. 23, 39, 3. Lucr. 1, 639 .Sen. Ep. 12, 7. Cic. Fin. 2, 5, 15.

[6] Kenny (A),(2006): ancient Philosophy , vol I , Clarendon Press, Oxford , 113.

[7] Guthrie, W.K.C. (1979):A History of Greek Philosophy. Volume 1: The Earlier Presocratic and the Pythagoreans (Cambridge:),٤٦١.

[٨] النشار. مصطفى(١٩٩٨): تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء الأول، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٢٦.

اتفق الجميع سواء من القدماء[٩] أو المحدثين[١٠] على غموض أسلوب هيراقليطوس وأفكاره، قدم لنا ديوجنيس لايرتيوس "Διογένης Λαέρτιος "قصة توضح شهرة غموض هيراقليطوس في العالم القديم، حيث يقول[١١]:-

σύγγραμμα ἐρέσθαι, φασὶ δ' Εὐριπίδην αὐτῷ δόντα τὸ Ἡρακλείτου " "τί δοκεῖ;" τὸν δὲ φάναι,"ἃ μὲν συνῆκα, γενναῖα: οἶμαι δὲ καὶ ἃ μὴ συνῆκ α:πλὴν Δηλίου_ γέ τινος δεῖται κολυμβητοῦ."

"***قالوا أن يوربيديس أعطاه (سقراط) رسالة هيراقليطوس وسأله عن رأيه فيها، فقال له: "الجزء الذي أفهمه جليل، كما أجرؤ على القول أن الجزء الذي لا أفهمه كذلك (جليل)؛ ولكنه يحتاج إلى غواص من ديلفي للوصول إلى عمق مغزاه."***

يعتقد أرسطوطاليس أن هيراقليطوس كان غامضًا، ليس فقط لعمق أفكاره لكن أيضا لبعض الملاحظات الأسلوبية واللغوية الأخرى، **<u>حيث لم يستخدم هيراقليطوس علامات الترقيم، وليس من السهل وضعها في بعض الأحيان</u>**[١٢]، تلك السمة – تبعًا لجراهام "Graham" لم تكن موجودة في كتابات الكتاب المعاصرين لهيراقليطوس، لكنه يؤكد وجود نظام في ترتيب كلمات هيراقليطوس يتيح معرفة نهاية عباراته[١٣].

كما لاحظ ديمتريوس الفاليري "Δημήτριος ὁ Φαληρεύς " في عمله المنسوب إليه عن "الأسلوب" أن هيراقليطوس **<u>لم يستخدم أيضاً حروف العطف وأدوات التعريف والربط</u>**[١٤]، مما جعل بعض المحدثين يتفقون على وجود نوع من التعقيد اللغوي يجعل من أسلوب هيراقليطوس اللغوي يحاكي التعقيد البنيوي[١٥].

---

[9]Pl. Theaet. 179e1–180b3. Strab.Geog. (14.1.25) .

[10]Hölscher, U. (1974), 'Paradox, simile, and gnomic utterance in Heraclitus', in A.P.D.Mourelatos (ed.), *The Pre-Socratics: A Collection of Critical Essays*, Garden City, NY,229–233. Guthrie (1962), 414 .

[11] Diog.Laer. (2.22

[12] Arist. Rhet.1407b14

[13]Graham, D.W. (2002), 'Heraclitus and Parmenides', in V. Caston and D. Graham, eds, Presocratic Philosophy: Essays in Honour of Alexander Mourelatos,Aldershot,39–41.

[14] Demet. Phal.191-192.

[15] McKirahan, R.D. (1994), Philosophy before Socrates. An Introduction with Texts andCommentary, Indianapolis, IN.133.

توضح الإشارة إلى دلفي في نص ديوجنيس لايرتيوس السابق التشابه بين أسلوب هيراقليطوس وأسلوب نبوءات دلفي – التي تنسب للإله أبوللو – تلك الحقائق الإلهية التي يرى هيراقليطوس أنها ستبقى ألف عام[١٦] :-

" Σίβυλλα δὲ μαινομένῳ στόματι καθ΄ Ἡράκλειτον ἀγέλαστα καὶ ἀκαλλώπιστα καὶ ἀμύριστα φθεγγομένη χιλίων ἐτῶν ἐξικνεῖται τῇ φωνῇ διὰ τὸν θεόν."

"سيبيلا، بهذيان فمها-تبعا لهيراقليطوس- تتنبأ متجهمة دون ابتسام، بدون تجمل، بدون عطور تخترق بصوتها ألف سنة بفضل الإله"

أثبت كثير من الباحثين العلاقة الوثيقة بين أسلوب هيراقليطوس والأسلوب الذي كان متبعًا في "الأقوال المقدسة" خاصة لدى اتباع الأورفية[١٧].يؤكد لوكيانوس أيضًا على أن أسلوب هيراقليطوس يماثل كلمات الوحي الإلهي ويشبه الألغاز مثل كلمات الإله أبوللو، حيث يقول[١٨]:-

"γὰρ ὥσπερ ὁ Λοξίας οὐδὲν ἀποσαφεῖς."

" لأنه مثل لوكسياس (أبوللو) لا يوضح شيئًا أبدًا."

كانت سمات أسلوب هيراقليطوس بما تحويه من استخدام أسلوب الرمز وكثرة المعاني المزدوجة والاستعارات بالإضافة إلى رشاقة الأسلوب والجناس الصوتي لكثير من مفرداته خير إثبات على تشابه أسلوبه وأسلوب الخطاب الإلهي المستخدم في النبوءات[١٩].

لقد أراد هيراقليطوس أن يعبر عن حقائق ليس هو قائلها[٢٠] لذلك استخدم أسلوب الرمز والعلامات، وهو ما عبر عنه هيراقليطوس نفسه عند وصفه لكلمات الإله التي تنتمي لنفس المصدر الإلهي الذي تخرج منه كلمات هيراقليطوس، بقوله[٢١]:-

" ὁ ἄναξ οὗ τὸ μαντεῖόν ἐστι τὸ ἐν Δελφοῖς,οὔτε λέγει οὔτε κρύπτει ἀλλὰ σημαίνει. "

"الملك في معبد دلفي لايتكلم ولا يخفى ولكنه يلمح (يرمز) σημαίνει"

---

[16] Her.B92.

[١٧] النشار. (١٩٩٨). ١٢٨.

[18]Lucian.Vitarum Auctio 14 .

[19] Hölscher (1974), 229–233. Guthrie (1962), 414.

[20] Her.B 50.

[21] Her.B 93.

ورغم ما قيل عن أسلوب هيراقليطوس، إلا أنه يبقى أسلوبًا مميزًا وصفه ديوجنيس لايرتيوس بقوله[٢٢]:-

λαμπρῶς τ' ἐνίοτε ἐν τῶι συγγράμματι καὶ σαφῶς ἐκβάλλει, ὥστε καὶ τὸν νωθέστατον ῥαιδίως γνῶναι καὶ δίαρμα ψυχῆς λαβεῖν :ἥ τε βραχύτης καὶ τὸ βάρος τῆς ἑρμηνείας ἀσύγκριτον.

"إنه (هيراقليطوس) يعبر عن نفسه بذكاء ووضوح عظيمين؛ لدرجة أن فهمه الرجال الأضعف عقلاً بسهولة ويأخذون منه سمو الروح. بالإضافة إلى ذلك، فإن إيجازه وثقل عرضه لا يضاهى."

اللوجوس الهيراقليطي ومشكلة وحدة فكر هيراقليطوس

رغم أن كلمة "لوجوس" في اللغة اليونانية قد تطور معناها على مر العصور، إلا أن الباحث "كان" "Kahn" يؤكد على أن كلمة لوجوس في الفترة التي كتب فيها هيراقليطوس، بدايات القرن الخامس ق.م كانت تدل على "الكلام المنطوق"[٢٣]،ولا نختلف معه في هذا، فنرى كسنوفانيس " Ξενοφάνης " الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، في الفترة ما بين (٥٧٠-٤٨٠ ق.م)[٢٤]، يقول[٢٥]:-

"χρὴ δὲ πρῶτον μὲν θεὸν ὑμνεῖν εὔφρονας ἄνδρας εὐφήμοις μύθοις καὶ καθαροῖσι λόγοις".

"من الواجب على الرجال الأخيار أن ينشدوا للإله في البداية بحكايات تقية وبكلمات طاهرة".

لكننا نجد لكلمة "لوجوس" **<u>معنى أخر كان شائعًا</u>** في الفترة التي عاشها هيراقليطوس، وهو **<u>"كلمة الإله"</u>** ، يذكر هيكاتيوس من مليتوس " Ἑκαταῖος Μιλήσιος "الذي كان معاصرًا لهيراقليطوس حيث عاش ما بين (٥٥٠-٤٧٦ ق.م)، هذا المعنى فيقول[٢٦]:-

[22] Diog.Laer. 9.7.
[23] Kahn, C. H., ed. 1979. The Art and Thought of Heraclitus: A New Arrangement and Translation of the Fragments with Literary and Philosophical Commentary. Cambridge: Cambridge University Press.97-98
[24] Schäfer, C. (1996) :Xenophanes von Kolophon: Ein Vorsokratiker zwischen Mythos und Philosophie. Stuttgart.11.
[25]Athenaeus 11.462c-463a (B1) 13-15
[26]Hecataei Milesii Fragmenta: Scylacis Caryandensis Periplus 1831 .GREGOR. CORINTH. VII 1215, 26 .

" Ἑκαταῖος Μιλήσιος ὧδε μυθεῖται· τάδε γράφω, ὥς μοι δοκεῖ ἀληθέα εἶναι· οἱ γὰρ Ἑλλήνων λόγοι πολλοί τε καὶ γελοῖοι, ὡς ἐμοὶ φαίνονται, εἰσίν ".

" قال هيكاتيوس من مليتوس ما يلي: أنا أكتب هذه الأشياء كما يبدو لي أنها حقيقة: لأن الكلام الإلهي بين اليونانيين، كما يبدو لي، كثير وسخيف(مثير للضحك)".

يقدم لنا هيكاتيوس "النموذج الأخر" المناقض لهيراقليطوس، بينما كان هيراقليطوس ينفي مثل الكثيرين في تلك الفترة مسؤوليته عن كلماته –كما سنرى لاحقاً– وينسبها للمصدر الإلهي، كان هيكاتيوس يقر أن ما يكتبه من فكره ومشاهداته وتحليل عقله، كان هيكاتيوس مؤرخ وجغرافي يكتب ما يشاهده ويعتقد، أنه حقيقة "***ἀληθέα***".

إن جملة يبدو لي ***" μοι δοκεῖ "*** تؤكد أن هيكاتيوس يقارن بين نوعين من الكتابات، الأولى يمثلها هو نفسه وتعبر عن الذاتية ،حيث لم يلق بتبعة كلماته على مصدر إلهي، والنوع الثاني من الكتابات ما كان شائعًا في تلك الحقبة وعبر عنه هيكاتيوس بقوله " ***Ἑλλήνων λόγοι*** " ولا يمكن أن يصف مؤرخ كلام الإغريق كله أنه سخيف أو مثير للضحك، لكنه يشير لذلك النوع من الحديث الذي ينسبه القائل لمصدر إلهي، هذا النوع الذي يبدو"***φαίνονται***" لهيكاتيوس مثير للضحك وسخيف "***γελοῖοι*** " .

عبر أفلاطون أيضا –وهو اللاحق لهيراقليطوس– عن كلمة اللوجوس أنها كلمة الإله، أو ما نعرفه نحن بالوحي الإلهي، حيث يقول على لسان سقراط[٢٧]:-

" οὐ γὰρ δὴ ἔγωγέ πω οἶδα, ἀλλ' ὅπῃ ἂν ὁ λόγος ὥσπερ πνεῦμα φέρῃ, ταύτῃ ἰτέον ".

"لأنني أنا نفسي لا أعرف حتى الآن، ولكن أينما كانت الكلمة (الإلهية)، مثل الريح يجب أن تحملنا ، وجب الذهاب هناك."

[27]Pl. Rep. 394d .

اتفق كثير من الباحثين – ونحن لا نتفق معهم –على أن استخدام هيراقليطوس لكلمة "لوجوس" لا يتفق مع مدلولاتها في تلك الفترة الزمنية نفسها، حيث كانت تشير آنذاك إلي الكلمة المنطوقة أو الحديث[٢٨]،مما نتج عنه وقوع اختلاف بين الباحثين حول ترجمة لوجوس هيراقليطوس، فبعضهم يترجمها الكلمة "word "مثل برنت "Burnet " وييجر"Jeager "[٢٩] وبعضهم يترجمها القانون "law " مثل فريمان"Freeman " [٣٠]،وبعضهم يبقيها كما هي " logos " فلا يترجمها مثل كونفورد" Conford "[٣١] ، اما لونج"Long " [٣٢] و كيرك"Kirk "[٣٣] فيترجماها بصورة أساسية نظام وفي بعض الأحيان مقياس"measure "، أما بيرنايس"Barnes " فترجمها نظام" order "، بعد أن تحدث عن تناقض كلمات هيراقليطوس، ذلك التناقض الذي يصل لدرجة التناقض الذاتي، ورأى أن هيراقليطوس لا يصلح أن يكون فيلسوفًا[٣٤]، كما هاجم مورتلي Mortley مفهوم هيراقليطوس عن اللوجوس الذي قدمه الباحثون، واعتبره نوع من الحكايات الخرافية، كما رفض محاوله ربطه بالإله أو الكون[35]، واتفق معه بوكستونBuxton [٣٦].

حاول القليل من الباحثين اعتبار اللوجوس جزء من النظام الأسطوري، مثل لوكت Luchte الذي رأى أن اللوجوس يعد بمثابة صاعقة زيوس التي تقود دفه كل الأشياء[٣٧].

[28]Kahn, 1979, p. 97-98.
[29]Jaeger.w, (1936) .the theology of the Early Greek philosophers ,Oxford, the Clarendon press.112., Burnet ,T(1928) :" Greek Philosophy from Thales to Plato",London,.145.
[30] Freeman, K. 1946. The Pre-Socratic Philosophers; a companion to Diels, Fragmente der Vorsokratiker. Oxford: Oxford University Press.109.
[31] Conford f.M ,(1923): "Greek Religious thought ", Edited by Ernest Barker, Cambridge university Press, London,.84.
[32] Kirk, G. S.(1954): Heraclitus: The Cosmic Fragments. Cambridge: Cambridge University Press,.319.
[33] Long, A. (2007): "Wisdom in Heraclitus." Oxford Studies in Ancient Philosophy 33, 1-2.
[34] Barnes, Jonathan. (1982) :The Presocratic Philosophers. London: Routledge, .63.
[35] Mortley R.(1986), from word to silence, the rise and fall of logos ,vol I,Hanstein.Bonn, 16-17.
[36]Buxton.R.G.A,(1999): from Myth to Reason, Studies in the development of Greek Thought, Oxford, Oxford university Press, 96.
[37] Luchte, (2011), 129.

إن ترجمة اللوجوس المختلفة من قبل الباحثين لا تعني أنها ترجمة غير دقيقة، لكنها ترجمة اعتمدت على سياق الجملة التي وردت بها كلمة اللوجوس ووظائفا التي تتضح من سياق الجملة، دون الالتزام بمعناهما الشائع آنذاك، ودون فهم لعلامات هيراقليطوس، وهو ما هاجمه أوزبورن " Osborne " بقوله "إن الشذرات لا يمكن أن تنزع من سياقها، ولا يجب علينا أن نحاول فهم كل واحدة على حدة"[٣٨].

اتفق أغلب الباحثين على وجود مشكلة في فهم كلمة "لوجوس" في الشذرات (*B1, B2, B50*)[٣٩]،في هذه الشذرات هناك من ترجم اللوجوس بـ "كلمة" ليقصد بها كلمة الحكيم، وقال أنها تشير لكلمة هيراقليطوس نفسه باعتباره نبيًا[٤٠]، وكان لييجر رأى آخر عن مفهوم اللوجوس، وقال أن هيراقليطوس كان يقصد بها الكلمة الأزلية وليست كلمة الحكيم. وذلك لأنها تعبر عن الحقيقة الأزلية

ترجمة logos	
B1, B2, B31.B50	القانون الإلهي– اللوجوس– الكلمة الإلهية – نظام
B45 .B115	مقياس
B39-B87-B108	كلمة –حديث [٤٢]

والأبدية[41]، كان لكلمة لوجوس ثلاثة تراجم رئيسية تبعاً للشذرات التي وردت بها وهي:–

ترجم بعض الباحثين كلمة اللوجوس عند هيرقليطوس **بالقانون الإلهي** الذي يتحكم في كل شيء تبعاً لما أشارت إليه الشذرة "B72"[43]،والتي يقول فيها هيراقليطوس[٤٤] :–

[38] Osborne, C. 1987. Rethinking Early Greek Philosophy: Hippolytus of Rome and the Presocratics. London: Duckworth Books.29-32

[39]Johnstone . Mark A (2014), "On 'Logos' in Heraclitus." Oxford Studies in Ancient Philosophy 47 . 3, Robinson, Thomas M (2009) "Heraclitus and Logos - Again." Piccone, Enrique Hulsz. Nuevos Ensayos Sobre Heráclito. Mexico, D. F.: Universidad Nacional Autónoma de México, 94–97.

[40] Burnet (1930), 133. Barnes (1982), 59.

[41] Jeager.(1936).112.

[٤٢] **لا يوجد اختلاف بين الباحثين حول معنى اللوجوس في هذه الشذرات، حيث مثلت الاستخدام الشائع لكلمة لوجوس في تلك الحقبة.**

[43] Patrica Curd & Richard D .Mckirahan,(2011): A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis, Cambridge, 2nd Edition.39.

[44] Her.B 72.

ᾧ μάλιστα διηνεκῶς ὁμιλοῦσι λόγῳ τῷ τὰ ὅλα διοικοῦντι, τούτῳ διαφέρονται, <u>καὶ</u> οἷς καθ΄ ἡμέραν ἐγκυροῦσι, ταῦτα αὐτοῖς ξένα φαίνεται.

" يبتعدون عن الكلمة(الإلهية) التي توحد كل شيء دائمًا، عن (الكلمة الإلهية) التي تحكم الجميع،و(هكذا) تبدو لهم الأشياء التي يصادفونها كل يوم غريبة".

إلا أن هناك كثير من الشكوك حول هذه الشذرة، حيث يعتقد ماركوفتش " Marcovich "أن تعبير "διοικοῦντι λόγωι" ليس لهراقليطوس نفسه بل لماركوس أوريليوس "*Marcus Aurelius*" نفسه،كتبه من خلال فهمه للمذهب الرواقي[٤٥]، واتفق كيرك على نفس الرأي [٤٦]، ونتفق معهم في نفس الرأي ، حيث لم ترد هذه الشذرة في أي مصدر آخر، لذلك لم نذكرها في القائمة.

ناقش جيثري طبيعة اللوجوس فقرر أن اللوجوس له طبيعتين أحدهما مادية والأخرى روحية[٤٧]– ربما متأثرًا بعقيدته المسيحية– واتفق معه مينار" *Minar* " في ذلك وأضاف أن اللوجوس يمثل طبيعة الكون ويحمل معنى الأشياء في ذاته (بمعنى تجسيد الكلمة) [٤٨]، هذه الفرضية الخاصة بتجسيد الكلمة لم تظهر في كتابات الكتاب المسيحيين (هيبوليتوس–كليمنت السكندري– أوريجانوس) الذين نقلوا شذرات هيراقليطوس، ولم يقدم جيثري أو مينار من شذرات هيراقليطوس ما يثبت تلك الفرضية.

اكتفى جيثري بإقران اللوجوس (الكلمة الإلهية) بالنار دون أن يميز بين نوعيها، لكنه كان يقصد النار التي وصفها هيراقليطوس بالنار الحية الأبدية، حيث استند إلى الشذرة التي تقول[٤٩]:–

"***κόσμον τόνδε, τὸν αὐτὸν ἁπάντων, οὔτε τις θεῶν οὔτε ἀνθρώπων ἐποίησεν, ἀλλ' ἦν ἀεὶ καὶ ἔστιν καὶ ἔσται· πῦρ ἀείζωον, ἁπτόμενον μέτρα καὶ ἀποσβεννύμενον μέτρα. "***

"إن هذا النظام الكوني، هو نفسه للجميع، لم يجره أي من الآلهة ولا من البشر، لكنه كان ويكون وسوف يكون، نارًا حية أبدية، تشتعل بحساب وتخبو بحساب"

الأمر الذي دعاه لإقران النار الهيراقليطية بمفهوم اللوجوس حيث يقول:–

"He (Heraclitus) himself said that he whole world order* "κόσμον*" is an ever-living fire(gr.30) . it cannot then be wrong to identify it with the

[45]Marcovich, M. (1966), 'On Heraclitus', Phronesis 11, 18.
[46] Kirk (1954), 44
[47] Guthrie (1962), 428.
[48]Minar, E.L. (1939), 'The Logos of Heraclitus', Classical Philology 34, 340–341.
[49] Her.B30.

Logos". [50]

" إنه هو نفسه (هيراقليطوس) قال إن كل نظام العالم هو نارًا حية أبدية، وعندئذ لن يكون من الخطأ إقران النار باللوجوس".

لقد استنتج جيثري أن:-

١- اللوجوس (الكلمة الإلهية) هي النار التي تمثل طبيعة الكون، وهيراقليطوس لا يذكر إلا أن نظام الكون وترتيبه -وليس الكون نفسه-من النار الحية الأزلية.

٢- اللوجوس (الكلمة الإلهية) لها طبيعة مادية وهو ما أكده صراحةً.

بينما كان هيراقليطوس نفسه يؤكد من خلال كلماته الآتية:-

١- إن المادة التي تكون منها نظام الوجود كانت النار.

٢- النار تشتعل بحساب" ***μέτρα"*** وتخبو بحساب، يعني أنها تخضع لقانون إلهي ينظم هذه العملية.

٣- يشير هيراقليطوس للمادة التي يتكون منها نظام الكون (روح الكون)، وليس الكون نفسه.

إننا نجد في الشذرة الأولى"B.1" عبارة تقول:-

" ***γινομένων γὰρ πάντων κατὰ τὸν λόγον τόνδε*** "

" إن كل شيء يصير (يأتي إلى الوجود) تبعا للكلمة (الإلهية)،"

يصور لنا هيراقليطوس المخلوق "كل شيء "" ***πάντων*** " ويأتي إلى الوجود " ***γινομένων*** " تبعا للوجوس "***τὸν λόγον***"، فكيف يكون اللوجوس الذي جاء منه الجوهر هو النار(التي تمثل الجوهر كما أفترض أرسطوطاليس وتبعه المحدثين)، إننا لا نري بالنص ما يجعل من فرضية جيثري وميناز محتملة ،حيث لم يذكر هيراقليطوس في شذراته التي وصلتنا ما يربط بين اللوجوس و النار.

الكلمة الإلهية (اللوجوس) كما عبر عنها هيراقليطوس

رأى جيثري منذ البداية أن تفسير كلمة "ὁ λόγος " يمكن أن يوجد نوع من الوحدة في فكر هيراقليطوس، تلك الوحدة التي تجعل من فكر هيراقليطوس متسقًا مع نفسه، لذلك اجتهد في البحث عن معنى كلمة لوجوس في الفكر الهيراقليطي -باعتبارها مفتاح اللغز- لكنه قد وجد صعوبة في

[50] Guthrie,١٩٦٢.432.

العثور على كلمة واحدة يمكنها التعبير عن هذا المصطلح الذي تكرر في شذرات هيراقليطوس إحدى عشرة مرة ،كما وجد صعوبة في تحديد معنى يحقق له ما أراده[٥١].

من خلال عرضنا لغموض أسلوب هيراقليطوس تبين لنا ما يلي:-

-لم يستخدم هيراقليطوس علامات الترقيم ،وليس من السهل وضعها في بعض الأحيان.

- لم يستخدم هيراقليطوس أيضاً حروف العطف وأدوات التعريف والربط.

-حرص هيراقليطوس على استخدام الرمز والعلامات.

- كلمة لوجوس في عصر هيراقليطوس كانت تشير للكلام البشري المنطوق، أو المنقول عن مصدر إلهي.

بمراجعة المواضع التي جاء فيها ذكر كلمة "لوجوس" لاحظنا ما يلي:-

إن كلمة ***λόγος*** " قد تم ذكرها ست مرات بمصاحبة **ضمير الإشارة أو أداة التعريف،أو بعض أدوات الربط على غير عادة هيراقليطوس في كتاباته**، وفي الستة مواضع يشير هيراقليطوس **إلى الكلمة الإلهية**[٥٢]، بينما عندما كان يعبر هيراقليطوس عن" حديث البشر " يذكر "λόγος " أيضًا – كما حدث في الخمسة مواضع الأخرى – لكنه لا يستخدم تلك الأدوات ،وبذلك نعتقد أن هيراقليطوس لم يخالف المعنى الشائع للكلمة كما قال الباحثين، لكنه تعمد الفصل بين مدلولها البشري والإلهي،ووضع إشارات بسيطة كعلامة على ذلك الفصل، لقد وردت كلمة لوجوس لتعبر عن الكلمة الإلهية في الشذرات التالية:-

الرقم	الاقتباس	ترجمة الشذرة
	العالم الإلهي	
B١	***τοῦ δὲ*** λόγου ***τοῦδ***᾽ ἐόντος ἀεὶ	تبعًا للكلمة(الإلهية) الموجودة على الدوام
B١	γινομένων γὰρ πάντων κατὰ ***τὸν λόγον τόνδε***	أن كل شيء يخلق تبعا للكلمة (الإلهية)،
B٢	***τοῦ λόγου δὲ*** ἐόντος	تبعًا للكلمة(الإلهية) الموجودة
B٣١	μετρέεται εἰς ***τὸν αὐτὸν λόγον***	تقدر بالكلمة(الإلهية)

[51]Guthrie, (1979.426.

[٥٢] ***الجداول المدرجة ليست مقتبسة من أي عمل لباحث آخر، لكنها نتاج ملاحظة وتدقيق الباحث في شذرات هيراقليطوس.***

B50	ἀλλὰ ***τοῦ λόγου*** ἀκούσαντας	لكن استمع إلى الكلمة (الإلهية)
B72	ὁμιλοῦσι ***λόγῳ τῷ*** τὰ ὅλα διοικοῦντι,	يبتعدون عن الكلمة (الإلهية) التي توحد كل شيء

أما الخمسة مواضع الأخرى فتأتي كلمة ***"لوجوس" مجردة من أدوات التعريف أو الإشارة لتشير إلى الكلمة المنطوقة أو الحديث العادي***، وهو ما يتضح لنا من أسلوب هيراقليطوس وترجمة الشذرات، ذكر لنا هيراقليطوس "اللوجوس" ليقصد به الكلام البشري في الشذرات التالية:-

الرقم	*الاقتباس*	*ترجمة الشذرة*
	العالم البشري	
B39	οὗ πλέων λόγος ἢ τῶν ἄλλων	الذي له الكلمة الأكثر نفاذًا بين الأخرين
B45	οὕτω βαθὺν λόγον ἔχει.	مهما كانت تملك كلمة عميقة
B87	βλὰξ ἄνθρωπος ἐπὶ παντὶ λόγῳ ἐπτοῆσθαι φιλεῖ.	"الأحمق رجل يهوى الانشغال بكل كلمة"
B108	ὁκόσων λόγους ἤκουσα	من كل الكلمات التي سمعتها
B115	ψυχῆς ἐστι λόγος ἑαυτὸν αὔξων.	للروح كلمة تزيد بنفسها

رأى كثير من الباحثين أن هيراقليطوس كان يستخدم كلمة "لوجوس" بمعنى يخالف دلالتها اللغوية في هذه الفترة [٥٣]، لكنه لم يفعل ذلك بل استخدم الكلمة تبعًا لدلالتها الشائعة آنذاك، لكنه ميز بين الكلمة الإلهية والكلمة البشرية، ولم يفعل هيراقليطوس هذا فقط في مصطلح اللوجوس، لكنه استخدم نفس العلامات عند حديثه عن الكون، النار، وهو ما سنوضحه في تحليل هذه الشذرات.

اتفقت المصادر القديمة والباحثون المحدثون أن هذه الشذرة تمثل الفقرة الافتتاحية في بداية كتاب هيراقليطوس[٥٤]، يقول فيها :-.

[53] Johnstone, (2014): 1-29.Barnes, (1982):,32 ,Kirk, G. S., J. E. Raven and M. Schofield. (1954):The Presocratic Philosophers: A Critical History with a Selection of Texts. Cambridge: Cambridge University Press, ,Kirk,(198٣.) ,39.

[54] ; Arist, Rhet. 1407b14, Sext Emp, Against the Logicians, 7.132 Laks, André and Glenn W. Most. (2016): Early Ionian Thinkers Part 2. Cambridge: Harvard University Press,.137.

τοῦ δὲ λόγου τοῦδ' ἐόντος ἀεὶ ἀξύνετοι γίνονται ἄνθρωποι καὶ πρόσθεν ἢ ἀκοῦσαι καὶ ἀκούσαντες τὸ πρῶτον· γινομένων γὰρ πάντων κατὰ τὸν λόγον τόνδε ἀπείροισιν ἐοίκασι, πειρώμενοι καὶ ἐπέων καὶ ἔργων τοιούτων,ὁκοίων ἐγὼ διηγεῦμαι κατὰ φύσιν διαιρέων ἕκαστον καὶ φράζων ὅκως ἔχει. τοὺς δὲ ἄλλους ἀνθρώπους λανθάνει ὁκόσα ἐγερθέντες ποιοῦσιν,ὅκωσπερ ὁκόσα εὕδοντες ἐπιλανθάνονται.

تبعًا للكلمة (الإلهية) الموجودة على الدوام، يصير البشر غير مدركين، سواء قبل أن يسمعوها أو بعد أن يسمعوها في البداية ،(غير مدركين) أن كل شيء يخلق تبعا للكلمة (الإلهية)،إنهم مفتقرون إلى التجربة في محاولتهم الاقتراب من قولها وفعلها، كتلك (التجربة) التي أقدمها وأصنفها وفقاً لطبيعتها شارحاً كل واحدة منها على حده، لكن البشر الآخرين ينسون ما يفعلونه في يقظتهم بالطريقة نفسها التي ينسون بها أحلامهم".

عادة ما تمثل الكلمات الافتتاحية جوهر الرسالة التي ينوى الكاتب تقديمها، وكان هذا الجوهر "**الكلمة الإلهية** " التي يعلن هيراقليطوس منذ البداية أنها موجودة على الدوام" ***ἐόντος ἀεὶ"*** ، متاحة لكل البشر "***πάντων*** "لكنهم غير مدركين " ***ἀξύνετοι*** " حكمتها عندما يسمعونها " ***ἀκοῦσαι***"أو بعد أن يسمعوها " ***ἀκούσαντες***"، ينقصهم التجربة "***ἀπείροισιν*** "في التعامل مع الكلمة الإلهية.

يقول هيراقليطوس إن كل الأشياء مخلوقة " ***γινομένων*** " اسم مفعول المشتق من الفعل " ***γίγνομαι*** " في تلك الحقبة الزمنية كان يغلب عليه معنى "يأتي إلى الوجود [٥٥]"، ويصف اسم المفعول كل الأشياء " ***πάντων*** " الكلمة التي كانت تعبر عن الكون آنذاك، إنها مخلوقة، وأوضح أن عملية الخلق تتم من خلال الكلمة الإلهية "***πάντων κατὰ τὸν λόγον τὸν γινομένων γὰρ πάντων κατὰ***"أو كما قال هيراقليطوس "***λόγον τόνδε τόνδε***"" ***إن كل شيء يخلق (يأتي إلى الوجود) تبعًا للكلمة (الإلهية)،*** "،وذلك ما دفع البعض للاعتقاد في أن الكلمة الإلهية تمثل الإله ذاته[٥٦]، إلا أن هيراقليطوس قد أتى بكلمة **اللوجوس في حالة المفعول به**، وليس الفاعل، فالكلمة الإلهية ليست الخالق لكن الخلق تم من خلالها ،كما أنه

[55]Emp.17.11, Pl.Phd.102e.

[56] Harnack ,A.(1897):,history of Dogma , vol III, Williams & Norgate. London., p66.

عبر عن الإله الأعلى بكلمات أخرى، وجدير بالذكر أن فكرة الخلق بالكلمة كانت شائعة في الفكر المصري الديني القديم كما سنوضح لاحقًا.

كان دور هيراقليطوس أن يشرح " ***φράζων*** " لمستمعيه الكلام الإلهي الذي عرفه هو نفسه ،لكن العامة أمام الكلمة الإلهية صُم ،يسمعون ولا يسمعون، وهو ما عبر عنه هيراقليطوس في شذرة أخرى، حيث يقول[٥٧]:-

"ἀξύνετοι ἀκούσαντες κωφοῖσιν ἐοίκασι."

"غير مدركين عندما يسمعون، مثل الصُم".[٥٨]

لم يكن هيراقليطوس -كما يعتقد هو نفسه- نبيًا لأنه كان اختياراً إلهياً، فقد كانت الكلمة الإلهية وستظل موجودة ومتاحة للجميع[٥٩] .

ويؤكد هيراقليطوس المعنى نفسه في شذرته الثانية-التي اعتقد ديوجنيس لايرتيوس أنها تأتي بعد الأولى في الترتيب[٦٠]- حيث يقول[٦١]:-

"διὸ δεῖ ἕπεσθαι τῷ (ξυνῷ, τουτέστι τῷ) κοινῷ· ξυνὸς γὰρ ὁ κοινός. τοῦ λόγου δὲ ἐόντος ξυνοῦ ζώουσιν οἱ πολλοὶ ὡς ἰδίαν ἔχοντες φρόνησιν".

لذلك لابد أن نتبع العام، ولأن العام هو المشترك، فإن وجود الكلمة (الإلهية) مشترك بين الأحياء، لكن الكثير من البشر يعيشون وفق معتقداتهم الذاتية.

إن كلمة الإله عامة وشائعة "***κοινῷ*** " بين كل الأحياء، ولكنهم لا يتبعون الأمر الإلهي، بل يتبعون أفكارهم "***φρόνησιν*** "، ثم يعود هيراقليطوس ليؤكد أنه لا يطلب من الناس أن يستمعوا إليه هو، فيقول[٦٢]:-

"οὐκ ἐμοῦ, ἀλλὰ τοῦ λόγου ἀκούσαντας ὁμολογεῖν σοφόν ἐστιν ἓν πάντα εἶναί."

---

[57] Her.B34.

[٥٨] يذكرنا هذا بقوله تعالي :"لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" الأعراف ١٧٩.

[٥٩] ما جاء به هيراقليطوس عن الكلمة الإلهية يقترب من بعض آيات القران الكريم، في الآية الكريمة " قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" الكهف،١٠٩،والآية" وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " لقمان،(٢٧).

[60] Diog.Laer. (2.22).

[61] Her.B 2.

[62] Her.B 50.

"من الحكمة أن تصغى – ليس لي- لكن للكلمة (الإلهية)، وأن تقول مثل ما تقول (الكلمة): إن كل شيء هو واحد".

في أسلوب يشبه الأنبياء والرسل يؤكد هيراقليطوس أن ما يكتبه من كلمات ليست له " ***οὐκ ἐμοῦ*** "، ليس هو صاحبها، بل يجب عليهم الإصغاء إلى الكلمة الإلهية التي تعلمنا الحكمة ،وبجب علينا أن نقول مثل قولها(***ὁμολογεῖν***) ،واستخدام الفعل هنا يحتاج لمزيد من الفحص ،هذا الفعل ترجمه الباحثون بمعنى "يتفق" لأنه مركب من المقطع "***ὁμο***" "مثل –شبه" مع الفعل "يقول" " ***λογεῖν***"[٦٣] ،وأضاف جيرهام أنه يشير للتوافق والتناغم الذي يقدمه هيراقليطوس ليعبر عن الوحدة[٦٤]،لكننا ترجمنا هذا الفعل المركب حرفياً بـ"نقول مثل" ونرى أنه يشير لشعور هيراقليطوس نفسه بالتقوى والورع ،فنحن عندما نعبر عن الحكمة الإلهية لا نستطيع أن نأتي بكلمات إلهية ،فقط نقول ما يشبهها .

ثم يذهب بنا هيراقليطوس لدور أخر للكلمة الإلهية كقوة حاكمة ومنظمة للكون، فيقول[٦٥]:-.

(γῆ) θάλασσα διαχέεται καὶ μετρέεται εἰς τὸν αὐτὸν λόγον, ὁκοῖος πρόσθεν ἦν .

"تعود الأرض و تصبح بحرًا، وتقدر بالكلمة الإلهية نفسها كما كان في السابق" .

يقدم لنا هيراقليطوس نظام كوني يختلف عن سابقيه ، فالكون عنصر واحد يتحول من حال لآخر تبعا للكلمة الإلهية، تلعب فيه الكلمة الإلهية دور الحاكم لتغيرات هذا النظام، وهنا نتفق مع فرضية ليمنج Leeming عن اللوجوس ، حيث عرفه بأنه القوة المنظمة للكون، الحكمة أو الإدراك الإلهي، إلا أن ليمنج قد زاد على ما قدمه هيراقليطوس وقال إن اللوجوس يمثل القوة التي حولت الفوضى (الخاؤوس ξα/οφ) إلى عالم منظم منذ البداية [٦٦]، حيث إن كلمات هيراقليطوس توضح إن كان الكلمة الإلهية قد قامت بعملية الخلق من العدم ليست مجرد تنظيم العناصر من الخواء.

63 Kahn, 1979, 45; Kirk, 1954, 65.
64 Graham, 2019,139.
65 Her.B 31.
66 Leeming.D,(2004): ,Jealous Gods Chosen People ,the Mythology of the middle east, Oxford, Oxford university Press,.101 .

يقدم لنا الفكر المصري الديني القديم نموذج أسطوري يقترب في صفاته من صفات الكلمة الإلهية عند هيراقليطوس، الإله تحوت الذي يجسد كلمة الإله الأعلى[٦٧]، وذكر عنه في أحد نصوص كتاب الموتى ما يلي:-

"أنا تحوت حكيم الوصف طاهر الأيدي، سيد النفوس الذي واجه الشر، ووصف الحق سيد القوانين، الذي جعل الكلمات تنطق، الذي جلب النظام بكلماته"[٦٨] .

يصف النص الإله تحوت بالحكيم "***ph-sw***"، وسيد الكلمات "***nb-mdw***"، وسيد الكلمات المقدسة "***nb-mdw-ntr***".

لقد كان تحوت هو قلب رع ***jbn-r الذي خلق بقوة الكلمة***[٦٩]، ***الذي جعل الكلمات تنطق ما جلب النظام بكلماته***، فالكون يأتي بالأمر الإلهي (الكلمة)، ويظل تحت حكمها، إن تصور المصريين القدماء لكلمة الإله بتاح في حقيقة الأمر يقترب من مفهوم هيراقليطوس عن اللوجوس" الكلمة الإلهية" فلكل منهما نفس الدور في الحفاظ على النظام الكوني[٧٠].

<u>صفات الكلمة (الإلهية) كما قدمها هيراقليطوس:-</u>

- أزلية " ἐόντος ἀεὶ "
- وجود الكون قد تم عبر الكلمة الإلهية.
- لا يستطيع البشر إدراكها " ἀξύνετοι γίνονται ἄνθρωποι "
- كل شيء يخلق تبعا للكلمة (الإلهية) " λόγον τόνδε πάντων κατὰ τὸν "
- أقتصر دور هيراقليطوس على عرض الكلمة الإلهية وشرحها " ἐγὼ διηγεῦμαι κατὰ φύσιν διαιρέων ἕκαστον καὶ φράζων "
- الكلمة الإلهية شائعة ومتاحة لكل الأحياء "τοῦ λόγου δὲ ἐόντος ξυνοῦ ζώουσιν ".
- الكلمة الإلهية تحكم تحولات العناصر ",μετρέεται εἰς τὸν αὐτὸν λόγον ".
- لم نجد أي دليل في شذرات هيراقليطوس عن تجسيد الكلمة.

---

[67] Budge .A.W.(1988):from fetish to God in Ancient Egypt. Dover publications ,New York ,21.
[68] Carrier .C.L (2009),:le Livre des Morts de l'Egypte Anciente,Paris.137.
[69] Boylan .P.(1922): ,Thot, the Hermes of Egypt, Oxford, p114.
[٧٠] لالويت،كلير، (١٩٩٦): نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، (المجلد الاول و الثاني)، ترجمة ماهر جويجاني، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة،، ج ١، ٣٠.

العالم والمبدأ الأول (النار) تبعًا لفرضيات الباحثين.

كان للنار دورًا كبيرًا في فكر هيراقليطوس فيما يتعلق بنظام الكون، ويرجح الباحثون أن النار الهيراقليطية ترتبط بما قدمه هيراقليطوس من مفاهيم عن اللوجوس، الكون و الإله[٧١]، لم يذكر أفلاطون أن هيراقليطوس يقول إن البداية عنده هي النار، إلا أنه أشار إلى وجود صلة بين التغير المتصل والنار في فكر هيراقليطوس[٧٢].

كان أرسطوطاليس صاحب الإسناد الصريح القائل إن النار تمثل البداية" ***ἀρχὴ*** "عند هيراقليطوس ، المبدأ الأول الذي لا يفنى ولا يفسد[٧٣]، ذلك القول الذي لم يرد في أي من شذرات هيراقليطوس نفسه ، فجعله من جملة الطبيعيين الأوائل، لأنه قال بالنار كعلة أولى للأشياء، حيث قال:-[٧٤]

.: " πυ=ρ ο(Μεταποντι/νοφ και/ ÷Ηρα/κλειτοφ ο(≠Εφε/σιοφ,"

" (قال) هيراقليطوس الافسوسي و ميتابونتينوس إنه النار".

من هذه العبارة استنتج أرسطوطاليس أن:-

١. هيراقليطوس كان من جملة الطبيعيين.
٢. أنه قد قال بالنار كعلة أولى للأشياء [٧٥].

وفي العصر الحديث يتخذ جومبرز وزيللر وبرنت ويوسف كرم نفس الموقف ووضعوا هيراقليطوس ضمن الطبيعيين الأوائل [٧٦] لقوله إن النار هي أصل كل الأشياء.

لكن أرسطوطاليس عاد في عمل آخر، وقال [٧٧]:-

"καὶ Ἡράκλείτος δὲ τὴν ἀρχὴν εἶναί φησι ψυχήν "

---

[71]Mourelatos, A.P.D. (1973), 'Heraclitus, Parmenides, and the naïve metaphysics of things', in E.N. Lee, A.P.D. Mourelatos and R.M. Rorty (eds), Exegesis and Argument: Studies in Greek Philosophy Presented to Gregory Vlastos[=Phronesis, suppl. vol. 1], Assen and New York, 33–40.

[72] Pl.Theat 153a1–9.

[73] Arist,Meta,983b.8.

[74] Arist,Met. 984a.7.

[75] Robinson ,T.M.(,2010), Logos and cosmos, studies in Greek Philosophy, Academia Verlag &Sankt Augustin , Germany, 17.

[٧٦] احمد فؤاد الاهواني: (١٩٥٤)" فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط "،القاهرة ، دار أحياء الكتاب العربي ،الطبعة الأولى ،ص٩٨.

[77] Arist.ani.405 A25-26.

" لكن هيراقليطوس أيضًا يقول إن البداية هي الروح".

هل كان أرسطوطاليس يقرن بين النار والروح، أم كان يقصد بالروح عنصرًا أخرًا عبر به عن البداية، وهذا ما سنوضحه لاحقًا، لكن ما قاله أرسطوطاليس عن الروح لم يلق اهتمام بين الباحثين المحدثين.

اتفق الباحثون على تحديد النار كمبدأ أول –تبعًا لما قاله أرسطوطاليس– خُلق منه العالم في المذهب الهيراقليطي، إلا أنهم قد اختلفوا في أمرين:–

١. طبيعة التحول المستمر في فكر هيراقليطوس.
٢. علاقة النار واللوجوس والإله.

<u>أولاً: طبيعة التحول المستمر في فكر هيراقليطوس.</u>

اتفق الباحثون على أن هيراقليطوس قد حدد النار كمبدأ أولى – تبعًا لأرسطوطاليس – خُلق منه العالم، إلا أن الاختلاف كان يدور بينهم حول تحديد طبيعة تحولات النار من عنصر لأخر، وعلاقة النار بالكون.

إن العناصر الأساسية في العالم تمر باستمرار بتحولات متبادلة يحكمها قانون، فكل جزء من مادة أساسية معينة يتحول إلى مادة أخرى يتم استبداله بجزء معادل من مادة أساسية أخرى تتحول إلى المادة الأولى، ومن هنا تبقى الكمية الإجمالية لكل مادة أساسية في العالم ثابتة[٧٨]، كان هذا التحول يتم بطريقة متساوية[٧٩] ، اعتماد الباحثون في استدلالهم هذا على الشذرات أرقام (B76-B126) التي تتحدث عن تحول النار والبحر والهواء والأرض.

افترض دانيال جرهام" Daniel Graham" –ونتفق معه تمامًا- أن الطبيعيين الأوائل يقدمون نظريات عن التحول بين العناصر، وتتبع تطور هذا التكوين الوجودي أعقد مما قدمه أرسطوطاليس عن أفكارهم، حيث يتحدثون عن مادة أولية يأتي منها الوجود وتتحول إلى العناصر

[78] Graham, 2006, 137.

[79] Neels, Richard. (2021): "Cosmic Interdependence: Heraclitus on Grounding." Ancient Philosophy Today: Dialogio 3.1 31-32.

الأخرى، كتحول الماء إلى هواء أو الهواء إلى نار[٨٠] ، ويؤكد هيراقليطوس على أن العناصر في الأصل عنصر واحد، حيث قال[٨١]:-

"ἓν πάντα εἶναί."

"كل شيء يكون واحد"

وهو نفس المعنى الذي ذكره هيراقليطوس في شذرة أخرى، حيث يقول[٨٢]:-

"καὶ ἐκ πάντων ἓν καὶ ἐξ ἑνὸς πάντα."

"من الجميع يكون الواحد، ومن الواحد يكون الجميع".

يصف لنا هيراقليطوس تحولات هذا العنصر، فيقول:-

∀ πυρὸς θάνατος ἀέρι γένεσις, καὶ ἀέρος θάνατος ὕδατι γένεσις ∀. [83]

" إن موت النار أصل الهواء، وموت الهواء أصل الماء، وموت الهواء أصل النار"

وفي شذرة أخرى، فيقول[٨٤] :-

"τὰ ψυχρὰ θέρεται, θερμὸν ψύχεται, ὑγρὸν αὐαίνεται, καρφαλέον νοτίζεται ".

" إن البارد يصبح حارًا، والحار يصبح باردًا، والرطب يصبح جافًا، والجاف يصبح رطبًا "

إن كلمات هيراقليطوس تنفي ما قاله أرسطوطاليس عن النار باعتبارها العلة أو السبب، وتؤكد على أن العناصر في الأصل عنصر واحد، يتغير من شكل لآخر، وصف هيراقليطوس تحول هذا العنصر المنتظم، بأنه يخضع لقانون، فقال:-

∀ πυρὸς τροπαὶ πρῶτον θάλασσα, θαλάσσης δὲ τὸ μὲν ἥμισυ γῆ, τὸ δὲ ἥμισυ πρηστήρ. ∀. [85]

تحولات (صور) النار أولاً البحر، ثم نصف أرض، ونصفه (الأخر) سائل.

قدم هيراقليطوس تحولات النار بطريقة آلية، حدد مقدارها "النصف" " **ἥμισυ** "، يحكم اللوجوس هذه التحولات، فيقول[٨٦]:-

---

[80]Graham, Daniel W(2006).: *"Explaining the Cosmos: The Ionian Tradition of Scientific Philosophy"*. Princeton, NJ: Princeton University Press, p. 22

[81] Her,B 2.

[82] Her,B 10.

[83] Her,B. 76,1-7.

[84] Her,B. 126.

[85] Her,B. 31a.

[86] Her.B 31.

" (γῆ) θάλασσα διαχέεται καὶ μετρέεται εἰς τὸν αὐτὸν λόγον, ὁκοῖος πρόσθεν ἦν ".

"تعود الأرض و تصبح بحرًا، وتقدر بالكلمة الإلهية نفسها كما كان في السابق" .

لكن ما تسبب في أرتباك الباحثين هو تصور كيفية التحول من شكل لآخر.

ثانيا:- **علاقة النار الهيراقليطية بالكون**

يرد ذكر كلمة "النار" " **Πῦρ** " في ستة شذرات ،وقصد بها هيراقليطوس -كما قصد بكلمة "اللوجوس" نارًا إلهية وصفها هيراقليطوس "**ἀείζωον**"، والنار المدركة بالحواس المعروفة بين البشر، واستخدم نفس العلامات من وجود أدوات تعريف أو صفة مع النار الإلهية، التي تم ذكرها في موضعين كما يلي:-

الرقم	الاقتباس	ترجمة الشذرة
	العالم الإلهي	
B30	Πῦρ ἀείζωον,	النار الحية الأبدية
B66	Τὸ πῦρ ἐπελθὸν κρινεῖ καὶ καταλήψεται	سوف تأتي النار لتقيم وتدين

الرقم	الاقتباس	ترجمة الشذرة
	العالم البشري	
B67	ὅκωσπερ (πῦρ), ὁπόταν συμμιγῇ	كما النار عندما تمتزج
B76b	πυρὸς θάνατος ἀέρι γένεσις,	موت النار ميلاد للهواء
B76A	ζῇ πῦρ τὸν ἀέρος θάνατον	في حياة النار موتًا للهواء
B90	πυρός τε ἀνταμοιβὴ τὰ πάντα καὶ πῦρ ἁπάντων	من النار وكل الأشياء تصبح نارًا

يوضح الجدول الأخير المواضع التي ذكرت فيها النار المحسوسة التي يدركها البشر.

يشرح هيراقليطوس النار الإلهية، التي تعد قلب نظريته الطبيعية ،و يقول[٨٧]:-

[87] Her,B. 30.

" κόσμον τόνδε, τὸν αὐτὸν ἁπάντων, οὔτε τις θεῶν οὔτε ἀνθρώπων ἐποίησεν, ἀλλ' ἦν ἀεὶ καὶ ἔστιν καὶ ἔσται· πῦρ ἀείζωον, ἁπτόμενον μέτρα καὶ ἀποσβεννύμενον μέτρα. "

"إن هذا النظام الكوني، هو نفسه للجميع، لم يبدعه أي من الآلهة ولا من البشر، لكنه كان ويكون وسوف يكون، نارًا حية تشتعل بحساب وتخبو بحساب"

اختلف الباحثون حول ترجمة هذه الشذرة، تمحور هذا الاختلاف حول ترجمة كلمة " *κόσμος*"، فمنهم من ترجمها "نظام الكون"[٨٨]، ومنهم من ترجمها "نظام/ترتيب" حيث كانت من استخدامها وصف ترتيب صفوف الجنود، وقصد بها هيراقليطوس ترتيب الكون[٨٩]، والبعض ترجمه "الكون" [٩٠] رغم أن هذا المصطلح لم يتسع معناه من "المرتب– مزين ، النظام الجيد" ليشمل "الكون" إلا في نهايات القرن الرابع ق.م[٩١].

على الرغم من إدراك بعض الباحثين –مثل كيرك– أن مصطلح " *κόσμος* " لا يعني الكون إنما يعنى نظامه، إلا أنه قد رأى في تعريف هيراقليطوس لهذا النظام أنه "النار الحية الأبدية"" *πῦρ ἀείζωον* " أن هيراقليطوس يقصد بهذه النار "الأثير" "*Αι)θη/ρ*" ، ولأن أي نظام يتكون من (نظام وأشياء) لذلك اعتبر كيرك أن مصطلح " *κόσμος* " يمثل الكون، وبدأ الحديث عن تحولات النار/ الأثير التي تضعف فتصير النار المحسوسة التي ندركها، ومنها تبدأ تحولات العنصر التي ذكرها هيراقليطوس[٩٢]، لكن هل يعني عناصر الترتيب أو النظام لمجرد سيطرته على العناصر، أن النظام يمثل الكون نفسه؟ هل يعني نظام ترتيب الجنود، الجنود أنفسهم؟ ذلك خطأ فادح في الاستدلال.

في البداية كانت جملة " أي من الآلهة ولا من البشر" "οὔτε τις θεῶν οὔτε ἀνθρώπων " – وهي عبارة شائعة وردت عند هوميروس [٩٣]وكسينوفان[٩٤] – مجرد نفي قاطع من هيراقليطوس لوجود أي إمكانية لتدخل أحد من الآلهة أو البشر في النظام الكوني "***κόσμον τόνδε*** " ولا يعنى أبدا أن هذا النظام غير مخلوق، فالآلهة في المجتمع الإغريقي حالة شديدة الخصوصية غالبًا ما

[88] Kirk (1954. 307. Laks & Most 2016, 179.
[89] *Kahn, 1979. 45.*
[90] Reinhardt.kosmos.290.Gigon.54.Wilamowitz.Glaube der Hellenen.374.
[91] Kahn, 1979, pp. 132-33; Kirk, 1954, pp. 312-17.
[92] Kirk, 1954,316-17.
[93] Hom.Il.VIII.27.
[94] Xenoph.fr23.

تمثل حالة من التبجيل أكثر منها موضعًا للعبادة خصوصًا بين المفكرين قبل عصر سقراط [٩٥]، حتى هيراقليطوس نفسه يتحدث عن بشر يمكن أن يصبحوا آلهة، فيقول:-

" Πόλεμος πάντων μὲν πατήρ ἐστι, πάντων δὲ βασιλεύς, καὶ τοὺς μὲν θεοὺς ἔδειξε τοὺς δὲ ἀνθρώπους, τοὺς μὲν δούλους ἐποίησε τοὺς δὲ ἐλευθέρους.

" الحرب هي أب الجميع، والملك على الجميع. إنه يجعل البعض آلهة، والبعض الأخر رجال، يجعل البعض عبيد، والبعض الأخر أحرارًا".

اعتمد بعض الباحثين على جملة " أي من الآلهة ولا من البشر " مثل **كيرك الذي فسرها أن هذا الكون لم يخلقه أحد على الإطلاق**، وأراد هيراقليطوس بتلك الجملة التقريرية -تبعًا لكيرك- معارضة ما جاء في أنساب الآلهة لهيسيودوس[٩٦]، وأقر عدد من الباحثين- ونخالفهم في رأيهم هذا- أن **الكون في الفكر الهيراقليطي غير مخلوق وأبدي**[٩٧]، **فالكون هو من صُنع نفسه وموجود على الدوام،** لذلك من العبث أن نسأل متى ظهر للوجود ومتى يفنى[٩٨].

كان الخلط في تفسير طبيعة النار الإلهية في فكر هيراقليطوس، وعدم الفصل بين النار الإلهية والنار المحسوسة، وربط بداية الكون بالنار سببًا في ظهور بعض الفرضيات من الباحثين نذكر منها:-

فرضية ربط الإله بالنار

كان ييجر أول من قال بهذه الفرضية حيث يقرن الخالق بالنار، لأنهما يتفقان في طبيعة التحول والتغيير، مستندًا إلى المقارنة بين شذرتين، إحداهما تقول إن النار تتحول من حالة إلى أخري[٩٩]:-

∀ ζῇ πῦρ τὸν ἀέρος θάνατον καὶ ἀὴρ ζῇ τὸν πυρὸς θάνατον, ὕδωρ ζῇ τὸν γῆς θάνατον, γῆ τὸν ὕδατος. ∀. [100]

---

[٩٥] محمود حنفي، (٢٠١٩) رؤية كسينوفان عن طبيعة الآلهة، أوراق كلاسيكية ،العدد١٦،جامعة القاهرة ٨٦٤-٨٦٩.

[96] Kirk (1954.319-320.

[97]Kahn, 1979.134.

[98] Kneale, M. (1968).: "Eternity and Sempiternity." Proceedings of the Aristotelian Society 69 228.

[99] Jaeger.w, (1936) ,119.

[100] Her,B. 76,1-7.

" إن حياة النار موت للتراب، وحياة الهواء موت للنار، وحياة الماء موت للهواء، وحياة التراب موت للماء. إن موت النار أصل الهواء، وموت الهواء أصل الماء، وموت الهواء أصل النار".

والشذرة الثانية تصف الإله على إنه الشيء ونقيضه، وهو ما فسره بأنه يخضع أيضًا للتغيير، أو يمثل كل شيء وأي من التفسيرين يربط بين النار والإله الأعلى ظاهريًا، هذه الشذرة تقول[١٠١]:-

" ὁ θεὸς ἡμέρη εὐφρόνη, χειμὼν θέρος, πόλεμος εἰρήνη, κόρος λιμός."

"إن الإله هو نهار وليل، شتاء وصيف، حرب وسلام، شبع وجوع".

وهو نفس ما ذهب إليه كونفورد "Conford"، حيث رأى أن النار الهيراقليطية تعبر عن الإله، إننا ندرك ذلك الاختلاف –تبعًا لرأي كونفورد– من حديث هيراقليطوس عن تغيرات النار والإله، وكأنه يربط بينهما في وضوح تام[١٠٢] فيقول:-

"ὅκωσπερ (πῦρ), ὁπόταν συμμιγῇ θυώμασιν ὀνομάζεται καθ΄ ἡδονὴν ἑκάστου".

" إنه مثل النار حينما تمتزج بعطر فإنها تأخذ الاسم تبعا لبهجة كل منه (كل واحد)"[١٠٣].

وهذه الفرضية تجد في كلمات هيراقليطوس ما يثبت عدم صحتها، نلخصه فيما يلي:-

- عبر هيراقليطوس عن نوعين من النار، الأول النار الإلهية ووصفها "الحية الأزلية"، والثاني النار المدركة بالحواس وهي أحد تحولات العنصر، ويصيبها الفناء.

وصف كليمنت السكندري "عنصر النار" في تعليقه على تحولات العناصر عند هيراقليطوس فقال عنه[١٠٤]:-

" ὅτι δὲ καὶ γενητὸν καὶ φθαρτὸν εἶναι ἐδογμάτιζεν."

"هو (هيراقليطوس) اعتقد أن (العنصر) مخلوق وقابل للتحلل".

- النار تخضع لمقياس يحدد تحولاتها (شذرة B30) فكيف تكون النار إلها يتحكم فيه آخر.
- الشذرة التي استشهد بها كونفورد (B67) لا تعبر عن طبيعة الإله بأية حال من الأحوال، ولم يؤمن

[101] Her,B. 67 .
[102] Conford ,(1923) .84-85.
[103] Her,B. 67 .
[104] Clement, Stroma, V, 14, 104, 3.

هيراقليطوس بوجود الأضداد[١٠٥]، فكل شيء هو واحد[١٠٦]، وهذا التغير والتناقض يبدو ظاهريًا للبشر[١٠٧] فقط ولا يعبر إلا عن استحالة فهم طبيعة الإله.

- عبر هيراقليطوس عن الإله بصفات أخرى- شذرات (B32-B33-B41-B63-B108)- مثل أغلب المفكرين قبل سقراط، تلك الشذرات التي لم تنل حظًا وافرًا في دراستها.

يتضح لنا مما سبق وجود عدة أفكار تنسب لهيراقليطوس لم يقلها مثل:-

- الخلط بين النظام المسؤول عن العالم وحركته وبين العالم نفسه.
- وجود خلط في فهم طبيعة النار كعنصر من عناصر الكون، والنار الإلهية التي تمثل روح الكون ومبدأ الحركة.
- تصور الكون في الفكر الهيراقليطي على أنه غير مخلوق وأبدي، وأنه قد جاء بنفسه إلى الوجود بنفسه.
- لا يوجد أي دليل في شذرات هيراقليطوس يربط الإله باللوجوس، أو الإله بالنار، ولا يربط حتى النار الإلهية بالنار المدركة بالحواس.
- يتكون الكون من عنصر واحد أساسي يحدث له نوع من التحول الظاهري.
- عبر هيراقليطوس عن نوعين من النار، الأول النار الإلهية ووصفها "بالحية الأزلية"، والثاني النار المدركة بالحواس وهي أحد تحولات العنصر الرئيس، ويصيبها الفناء.

مفهوم الإله الهيراقليطي وعلاقته باللوجوس والعالم.

اختلف الباحثون حول طبيعة الإله وعلاقته باللوجوس (الكلمة الإلهية) والكون، وكان هرناك "Harnack" أول من افترض أن اللوجوس (الكلمة الإلهية) هو الإله[١٠٨]، ثم تبعه كوبلستون "Copleston" الذي اعتمد على الشذرة (B72) ليقول أن اللوجوس الذي يحكم كل الاشياء، لذلك فهو يمثل الإله الهيراقليطي باعتباره عقل الكون أو اللوجوس، وهو القانون الكلي الذي ينتشر عبر كل الأشياء، يربط بين كل الأشياء ويحدد التغييرات التي تتم بين كل الأشياء، ويبدو أن تأثير

[105]B8: τὸ ἀντίξουν συμφέρον καὶ ἐκ τῶν διαφερόντων καλλίστην ἁρμονίαν καὶ πάντα κατ' ἔριν γίνεσθαι.
[106] Her.B50.
[107] Kirk, 1954, p. 241
[108] Harnack.1897,66.

هيراقليطوس على الرواقيين هو ما دفع كوبلستون لهذه الفرضية[١٠٩]. واتفق هاك "Hack "و ليت" Litt " مع كوبلستون في الربط بين اللوجوس والإله الخالق، على اعتبار أن الإله سبب (لوجوس) أبدي[١١٠]. وهو ما أكد عليه أيضًا دورزديك Drozdek الذي أقرن بين اللوجوس والإله كما أقرن بين اللوجوس والتفكير Φρονεε/ν [١١١]، إلا أن هرناك وبيجر وكونفورد قد تجاهلوا أن هيراقليطوس قد تحدث عن إله أعلى، واحد حكيم، قد تصدق تسميته الشعبية (زيوس) وقد لا تصدق، فله الحرية الكاملة في أن يتخذ أي اسم يشاء، حيث قال[١١٢] :-

ἓν τὸ σοφὸν μοῦνον λέγεσθαι οὐκ ἐθέλει καὶ ἐθέλει Ζηνὸς ὄνομα.

" تقول إن الواحد، الحكيم وحده يرغب أو لا يرغب في اسم زيوس ".

لم يقدم هيراقليطوس الكثير عن صفات الإله الأعلى، إلا أنه ميزه بصفات لم ينسبها إلى غيره، فلم يصف هيراقليطوس أي من العناصر الإلهية المسؤولة عن العالم ونظامه بالحكمة، وفي هذه الشذرة يؤكد أن الإله الأعلى، الواحد" ***ἓν*** "، هو وحده " ***μοῦνον*** "من يستحق صفة "الحكيم " ***σοφὸν*** "، واستخدم هيراقليطوس نهاية المحايد للتعبير عن الإله للتأكيد أنه يخالف في طبيعته البشر.

وفي موضع آخر يقول[١١٣]:-

"νόμος καὶ βουλῇ πείθεσθαι ἑνός "

"القانون هو أن تطيع مشيئة الواحد"

يصف هيراقليطوس القانون -والقانون في شذرات هيراقليطوس إلهي المصدر يعادل اللوجوس[١١٤]- في الخضوع لمشيئة الإله الواحد "***ἑνός*** "، **<u>كإشارة واضحة لخضوع النظام الإلهي الذي يتحكم في الكون ونظامه إلى مشيئة الإله الواحد</u>**، لم يتحدث هيراقليطوس عن تدخل إلهي في حياة البشر أو

[109] Copleston ,F.(1963): A History of Philosophy " , vol ii, image Books editions , Newman Press, 43.
[110] Hack(R.K) &Litt.B,(1969):God in Greek Philosophy to the time of Socrates, Princeton , Princeton university Press . 78.79.
[111] Adam Drozdek (2016) Greek Philosophers as Theologians: The Divine Arche. Routledge, P 33.
[112]Her.B 32.
[113] Her.B 33.
[114] Her.B 114.

حتى نظام الكون، قدم لنا نظام يحفظه كيانات إلهية مثل اللوجوس والنار الحية الأبدية، ولم يجعل للإله تدخل حقيقي، وذكر سبب ذلك، عندما قال[١١٥]:-

"ὅτι σοφόν ἐστι πάντων κεχωρισμένον."

" أن الحكيم منفصل عن كل الأشياء (الكون)".

إن الإله الحكيم منفصل "κεχωρισμένον " عن الكون، يسمو عن الفعل المباشر ،فالكون كما قدمه هيراقليطوس يخضع للقدرة الإلهية خضوعًا تامًا -كما سنوضح لاحقًا- لكن دون تدخل فعلي من الإله الأعلى.

تفسير النظام الإلهي للكون في فكر هيراقليطوس[١١٦].

في بداية تفسيرنا للنظام الذي قدمه هيراقليطوس عن الكون وعلاقة الكيانات الإلهية بنظامه نحلل الشذرة الأولى التي يعرض فيها للنار الإلهية، ويقول فيها[١١٧]:-

" κόσμον τόνδε, τὸν αὐτὸν ἁπάντων, οὔτε τις θεῶν οὔτε ἀνθρώπων ἐποίησεν, ἀλλ' ἦν ἀεὶ καὶ ἔστιν καὶ ἔσται· πῦρ ἀείζωον, ἁπτόμενον μέτρα καὶ ἀποσβεννύμενον μέτρα. "

"إن هذا النظام الكوني، هو نفسه للجميع، لم يبدعه أي من الآلهة ولا من البشر، لكنه كان ويكون وسوف يكون، نارًا حية مشتعلة بحساب ومنطفئة بحساب".

تعد هذه الشذرة من أهم شذرات هيراقليطوس كما نعتقد، ومع أهميتها سببت حالة من الجدل والتفسيرات التي لا تتفق مع ما قدمه هيراقليطوس نفسه، عبر هيراقليطوس عن النظام أو الترتيب " ***κόσμον***" الإلهي -فقد أخذ معه ضمير الأشارة "***τόνδε***" كعادة هيراقليطوس وعلامته -التي أوضحناها - في وصفه الكيانات الإلهية لم يخلقه "***ἐποίησεν***" "أحد "***τις***"، لا من الآلهة ولا من البشر"***τις θεῶν οὔτε ἀνθρώπων οὔτε***"، إنه نظام إلهي ليس لأحد من الموجودات داخله -سواء من الآلهة أو من البشر -التحكم فيه،طبيعة هذا النظام المنتشر عبر أجزاء الكون "النار" ،ليست النار التي نعرفها على الأرض، إنها النار الإلهية الأبدية الحية "***ἀείζωον***" "،وصفها هيراقليطوس بالحية في مقابل قوله عن النار الإرضية أنها تتعرض للموت "موت النار" "***πυρὸς***

[115] Her.B 108.

[١١٦] لجئنا إلى تكرار ذكر نص بعض الشذرات للحفاظ علي تسلسل الفكرة .

[117] Her,B. 30.

θάνατος"[118]، يؤكد أن هيراقليطوس قد تكلم عن نوعين من النار، **النوع الإلهي (الحي)**،والنار المدركة بالحواس (**العنصر القابل للموت**)، والموت كما يراه هيراقليطوس في الطبيعة ليس فناء لكنه التغير من حال إلى حال"[119].

دور النار الإلهية الأبدية الحية "***ἀείζωον*** "، التي تمثل النظام "***κόσμον*** " يتضح لنا من نفس الشذرة ،عندما وصف النار استخدم هيراقليطوس اسم المفعول " ***ἁπτόμενον*** ***ἀποσβεννύμενον*** " ليعبر بهما عن الصفتين المتضادتين (**مشتعلة ، مُنطفئة**) ، ليحدد دور النار الإلهية كمسبب للحركة ،أو محرك إلهي للتحول المستمر ،وبذلك تمثل النار الإلهية **الروح**.

كانت الروح في فكر الطبيعيين سببًا للحركة، أو كما قال أرسطوطاليس [120]:-

"Εοικε δὲ καὶ Θαλῆς ἐξ ὧν ἀπομνημονεύουσι κινητικόν τι τὴν ψυχὴν ὑπολαβεῖν, εἴπερ τὴν λίθον ἔφη ψυχὴν ἔχειν, ὅτι τὸν σίδηρον κινεῖ".

"ويبدو أن طاليس أيضاً (نقلًا) عن الذين يتحدثون من الذاكرة قال أن الروح تسبب الحركة، لأنه قال *إن حجر المغناطيس له روح، لأنه يحرك الحديد*".

فكل جسم يسكنه الروح ويكون السبب في حركته[121].

"Θαλῆς ἐν παντὶ σώματί φησιν εἶναι ψυχήν ".

" طاليس قال إن الروح توجد في كل جسم".

كل جسم (عنصر) " ***σώματί*** " يسكنه الروح "***ψυχήν*** " ، ودور الروح في الجسم –تبعًا لأرسطوطاليس تسبب الحركة " ***κινητικόν*** "، والروح الكونية في فكر هيراقليطوس هي نار "حية أبدية""***ἀείζωον*** " تخضع لقانون إلهي " الكلمة الإلهية" "***λόγος*** "، لذلك عبر أرسطوطاليس عن المادة الأولى مرة على أنها النار ،والثانية على أنها الروح –كما ذكرنا من قبل– لم يخطيء أرسطوطاليس في ذلك فقد أدرك أن هيراقليطوس يقصد بالنار الحية الأزلية الروح ،روح الكون ومسبب حركته.

عندما نذكر أن الكلمة الإلهية هي القانون ، لا نترجم اللوجوس بمعنى مختلف، فالاسم يترجم "كلمة إلهية" والوظيفة في الكون "قانون إلهي" ،لان كلمة الإله في كونه قانون.

---

[118] Her,B. 76.

[119] **موت النار أصل الهواء ، و موت الهواء أصل الماء ،و موت الهواء أصل النار .(شذرة ٧٦)**

[120] Arist. De anima 1.2.405a19–21.

[121] Michael Psellus .Opusc. psych., theol., daem. 13.44.20–21 .

ولعل المسألة الوحيدة التي نراها مازالت معلقة في تصور هيراقليطوس للنظام الإلهي للكون، هو تفسير عملية التحول من شكل لأخر ،تلك التحولات بين العناصر المختلفة بالنسبة لنا ظاهريًا، جعلت الباحثون يتسألون كيف للنار والهواء والبحر والأرض أن يتحول كل عنصر بموته (تغيره) للأخر؟، وهو ما عبرت عنه "باتريشيا جورد" "Patricia Curd " بقولها إن المفكرين الطبيعيين الآوائل لم يقدموا تفسيرًا لهذا التحول، ولم يقدموا علة أولية تمثل سبباً في ذلك التحول[١٢٢]، وزاد هيراقليطوس من صعوبة تفسير التحول عندما أقر بوضوح أن كل شيء واحد ،فقال[١٢٣]:-

"ἓν πάντα εἶναί".

"كل شيء يكون واحد".

وهو نفس المعنى الذي ذكره هيراقليطوس في شذرة أخرى، حيث يقول[١٢٤]:-

"καὶ ἐκ πάντων ἓν καὶ ἐξ ἑνὸς πάντα "

"من الجميع يكون الواحد، ومن الواحد يكون الجميع".

وتفسير هذا الأمر -في اعتقادنا- لا يكون في محاولة تخيل كيف يتحول عنصر من شكل إلى أخر فالعين والأذن لن تعى إن لم يدرك المرء حديث الروح داخله، أخبرنا هيراقليطوس بذلك فقال[١٢٥]:-

κακοὶ μάρτυρες ἀνθρώποισιν ὀφθαλμοὶ καὶ ὦτα βαρβάρους ψυχὰς ἐχόντων.

" العيون والأذان للناس شهود فاسدة، إن كان لديهم أرواح (تتحدث) لغة غير مفهومة".

إن تغيرات العناصر الأربعة -كما قدمها هيراقليطوس - تغيرات ظاهرية ندركها بالحواس التي لا تعرف جوهر الأشياء ما لم تدرك وتفهم لغة الروح، فالكل واحد، فكرة وجُدت في الشروحات التي قدمت لسفر التكوين وذكرها الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ،حيث يقول[١٢٦]:-

"وفي التوراة فى السفر الأول منها أن مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى، ثم نظر إليه نظرة الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء ثم نار من الماء بخار مثل الدخان، فخلق منه السماوات،

---

[122]Curd. Patricia, (2011): "New Work on the Presocratics," *Journal of the History of Philosophy* 49 .34"

[123] Her,B 2.

[124] Her,B 10.

[125] Her,B 107.

[١٢٦] **الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم،(١٩٩٢) .الملل والنحل، تصحيح وتعليق احمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان، جزء ٢، ٣٧٣.**

وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الأرض ثم ارساها بالجبال ، و كان تاليس الملطى إنما تلقى مذهبه من هذه المشكلة النبوية" .

في البداية كان المخلوق الأول واحدًا، ذابت أجزاؤه في لحظة التجلي الإلهي، وصارت المادة التي شكلها الخالق بالقدرة الإلهية، وبقوة الكلمة، تلك الأفكار الدينية التي أخذ عنها طاليس والطبيعيين الأوائل ،و هيراقليطوس كان الأخير من الطبيعيين، ذلك ما أدركه الشهرستاني في القرن الحادي عشر الميلادي، لم ينسبها لهيراقليطوس علي وجه التحديد ،لكن هيراقليطوس يمثل بالنسبة لنا كمال المذهب الفكري ما بين الطبيعيين الأوائل.

الخاتمة

حاول البحث إلقاء الضوء على أسباب غموض أفكار هيراقليطوس، وتعدد الافتراضات والتفسيرات التي قدمها الباحثون حوله، لدرجة جعلت الوصول لإيجاد نوع من الوحدة في أفكاره دربًا من دروب المستحيل، حاولنا من خلال تحليل شذرات هيراقليطوس الوصول إلى تصوره الحقيقي عن الكون خلقه، واستمرار نظامه.

كان لكلمات هيراقليطوس وأسلوبه دور لا ينكر في خلق حالة الغموض حول أفكاره للأسباب التالية:-

- لم يستخدم هيراقليطوس علامات الترقيم، وليس من السهل وضعها في بعض الأحيان.
- لم يستخدم هيراقليطوس أيضًا حروف العطف وأدوات التعريف والربط.
- حرص هيراقليطوس على استخدام الرمز والعلامات.
- كلمة لوجوس في عصر هيراقليطوس كانت تشير للكلام البشري المنطوق، أو المنقول عن مصدر إلهي، لا يمكن أن تتفق خصائصها في معناها البشري ومعناها الإلهي.

أن هيراقليطوس قد قدم نموذجًا يخالف الكثير من السابقين واللاحقين، صور فيه الكون ونظامه الإلهي الذي يسير دون تدخل فعلي من الإله الأعلى، ميز فيه بين المادة والروح المسؤولة عن الحركة والكلمة الإلهية التي مثلت عنصر ينسب إليه الخلق بصورة غير مباشرة، تلك الفكرة التي حملت جذور أسطورية مصرية أشرنا إليها.

بالإضافة إلى دور الكلمة الإلهية في حفظ النظام الكوني، كان لها دورًا في تعليم البشر الحكمة الإلهية.

كانت رسالة هيراقليطوس كانت واضحة إلا أن الباحثين لم يستطيعوا في كثير من الأحيان فهم مفرداتها، فظهرت مجموعة من الافتراضات لم يقلها هيراقليطوس نفسه مثل:-

- المادة الأولى هي النار.
- الخلط بين النظام المسؤول عن العالم وحركته وبين العالم نفسه.
- وجود خلط في فهم طبيعة النار كعنصر من عناصر الكون، والنار الإلهية التي تمثل روح الكون ومبدأ الحركة.
- تصور الكون في الفكر الهيراقليطي على أنه غير مخلوق وأبدي، وأنه قد جاء بنفسه إلى الوجود بنفسه.
- تجسيد الكلمة الإلهية في كيان مادي.
- لا يوجد أي دليل في شذرات هيراقليطوس يربط الإله باللوجوس، أو الإله بالنار، ولا يربط حتى النار الإلهية بالنار المدركة بالحواس.

وفي الوقت نفسه قدم هيرقليطوس مجموعة من الأفكار الاصيلة -بالنسبة للمجتمع الإغريقي- لم ينتبه إليها كثير من الباحثين مثل:-

- خضوع النظام الإلهي الذي يتحكم في الكون ونظامه إلى مشيئة الإله الواحد.
- فكرة الخلق بالكلمة الإلهية، ودور الكلمة في حفظ النظام الكوني.
- الكلمة الإلهية متاحة لكل البشر، ليس للأنبياء والرسل فقط.
- وضع هيراقليطوس تصور كوني دون تدخل من الإله الأعلى، لكنه يسير بمشيئته، والفاعل فيه الكلمة.
- الروح كيان إلهي يسبب الحركة لكل شيئ، ولا يخرج عن حدود كلمة الإله.
- يتكون الكون من عنصر واحد أساسي يحدث له نوع من التحول الظاهري.
- عبر هيراقليطوس عن نوعين من النار، الأول النار الإلهية ووصفها "بالحية الأزلية"، والثاني النار المدركة بالحواس وهي أحد تحولات العنصر، ويصيبها الفناء.
- جذور فكرة هيراقليطوس عن العنصر الواحد لها أساس في الشروحات الدينية لسفر التكوين.

قائمة المراجع[١٢٧]

القواميس:

- Liddell, H. G. and R. Scott, eds. (1940) *Greek-English Lexicon*. 9th ed. Oxford: Oxford University Press

المصادر:

فيما يتعلق بشذرات هيراقليطوس اعتمدنا على:

- Graham.D.(2010) .The Texts of Early Greek Philosophy, Cambridge: Cambridge University Press.

اعتمدنا في المصادر الأخرى على الطبعة الإلكترونية المأخوذة عن:

- Thesaurus Linguae Graecae , univ of California Irvine , 1999. (t.l.g)

المراجع العربية:

- أحمد فؤاد الاهواني، (١٩٥٤):" فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط "، القاهرة، دار أحياء الكتاب العربي، الطبعة الأولى .
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم، (١٩٩٢). الملل والنحل، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان، جزء ٢.
- النشار. مصطفى(١٩٩٨): تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء الأول، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.
- محمود حنفي،(٢٠١٩) رؤية كسينوفان عن طبيعة الآلهة، أوراق كلاسيكية ،العدد١٦،جامعة القاهرة.
- لالويت،كلير,(١٩٩٦): نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، (المجلد الاول و الثاني)، ترجمة ماهر جويجاني، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، ج ١.

المراجع الأجنبية:

- Adam Drozdek (2016) Greek Philosophers as Theologians: The Divine Arche. Routledge
- Barnes, Jonathan.(١٩٨٢):The Presocratic Philosophers. London: Routledge.
- Boylan .P.(1922): ,Thot, the Hermes of Egypt, Oxford, oxford university Press

[١٢٧] اعتمدنا في كتابة مراجع البحث على أسلوب APA للتوثيق.

- Budge .A.W.(1988):from fetish to God in Ancient Egypt. Dover publications ,New York.
- Burnet ,T(1928) :" Greek Philosophy from Thales to Plato",London.
- Buxton.R.G.A,(1999): from Myth to Reason, Studies in the development of Greek Thought, Oxford, Oxford university Press
- Conford f.M ,(1923): "Greek Religious thought ", Edited by Ernest Barker, Cambridge university Press, London.
- Copleston ,F.(1963): A History of Philosophy " , vol ii, image Books editions , , Newman Press,
- Freeman, K. 1946. *The Pre-Socratic Philosophers; a companion to Diels, Fragmente der Vorsokratiker*. Oxford: Oxford University Press.
- Gill (M.L.) & Pellegrin (P.),(2006): A companion to Ancient Philosophy, Blackwell Publishing , New York.
- Graham, Daniel W.(2006) :Explaining the Cosmos: The Ionian Tradition of Scientific Philosophy. Princeton: Princeton University Press.
- ---------- . (2002), 'Heraclitus and Parmenides', in V. Caston and D. Graham, eds, *Presocratic Philosophy: Essays in Honour of Alexander Mourelatos*,Aldershot
- Guthrie, W.K.C. (1979):A History of Greek Philosophy. Volume 1: The Earlier Presocratic and the Pythagoreans (Cambridge:).
- Hack(R.K) &Litt.B,(1969):God in Greek Philosophy to the time of Socrates, Princeton , Princeton university Press
- Harnack ,A.(1897):,history of Dogma , vol III, Williams & Norgate. London
- Hobl (G.), (2001)A history of the Ptolemaic empire , Clarendon Press, Oxford.
- Hölscher, U. (1974), 'Paradox, simile, and gnomic utterance in Heraclitus', in A.P.D.Mourelatos (ed.), *The Pre-Socratics: A Collection of Critical Essays*, Garden City, NY, 229–238
- Johnstone, Mark A. "On 'Logos' in Heraclitus." *Oxford Studies in Ancient Philosophy* 47 (2014): 1-29.
- Kahn, C. H., ed. 1979. The Art and Thought of Heraclitus: A New Arrangement and Translation of the Fragments with Literary and Philosophical Commentary. Cambridge: Cambridge University Press
- Kneale, M. (1968).: "Eternity and Sempiternity." *Proceedings of the Aristotelian Society* 69 (1968).
- Kenny (A),(2006): ancient Philosophy , vol I , Clarendon Press, Oxford.
- Kirk, G.S., ed. 1954. *Heraclitus: The Cosmic Fragments*. Cambridge: Cambridge University Press.

- Kirk, G. S., J. E. Raven and M. Schofield. (1954):The Presocratic Philosophers: A Critical History with a Selection of Texts. Cambridge: Cambridge University Press.
- Laks, André and Glenn W. Most. (2016):Early Ionian Thinkers Part 2. Cambridge: Harvard University Press.
- Leeming.D,(2004): ,Jealous Gods Chosen People ,the Mythology of the middle east, Oxford, Oxford university Press,.
- Long, A. (2007): "Wisdom in Heraclitus." Oxford Studies in Ancient Philosophy.
- Luchte, (J.),(2011):early Greek thought before the Dawn ,Continuum international publishing group, New York.
- Jaeger.w, (1936).the theology of the Early Greek philosophers ,Oxford, the Clarendon press.
- Marcovich, M. (1966), 'On Heraclitus', Phronesis 11.
- McKirahan, R.D. (1994), *Philosophy before Socrates. An Introduction with Texts andCommentary*, Indianapolis, IN.
- Minar, E.L. (1939), 'The Logos of Heraclitus', Classical Philology 34.
- Mortley R.(1986), from word to silence, the rise and fall of logos ,vol I,Hanstein.Bonnز
- Mourelatos, A.P.D. (1973), 'Heraclitus, Parmenides, and the naïve metaphysics of things', in E.N. Lee, A.P.D. Mourelatos and R.M. Rorty (eds), Exegesis and Argument: Studies in Greek Philosophy Presented to Gregory Vlastos[=Phronesis, suppl. vol. 1], Assen and New York, 33–40.
- Neels, Richard. (2021): "Cosmic Interdependence: Heraclitus on Grounding." Ancient Philosophy Today: Dialogio
- Osborne, C. 1987. Rethinking Early Greek Philosophy: Hippolytus of Rome and the
- Presocratics. London: Duckworth Books
- Patrica Curd & Richard D .Mckirahan,(2011): A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis, Cambridge, Second Edition,
- Robinson, Thomas M.(2009): "Heraclitus and Logos - Again." Piccone, Enrique Hulsz. *Nuevos Ensayos Sobre Heráclito*. Mexico, D. F.: Universidad Nacional Autónoma de México.
- ---------- (,2010), Logos and cosmos, studies in Greek Philosophy, Academia Verlag &Sankt Augustin , Germany
- Schäfer, C. (1996) :Xenophanes von Kolophon: Ein Vorsokratiker zwischen Mythos und Philosophie. Stuttgart.